سمير يذهب الى استانبول

— ٢ —

أخي عَلي ،

عُدْنَا مَرَّةً أُخْرَى إِلَى ثَغْرِ « بِيرِيه » وَكَانَتِ الْبَاخِرَةُ فِي الْمِينَاءِ فَنَقَلْنَا مَتَاعَنَا إِلَيْهَا وَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ أَبْحَرْنَا مُيَمِّمِينَ شَطْرَ الْبُسْفُورِ .

وَوَصَلْنَا بَعْدَ قَلِيلٍ إِلَى مَضِيقِ « كُورِنْث» فَأَخَذَتِ الْبَاخِرَةُ تَجْتَازُهُ فِي بُطْءٍ وَحَذَرٍ شَدِيدَيْنِ، ذَلِكَ لِأَنَّ اتِّسَاعَهُ لَا يَزِيدُ كَثِيراً عَلَى عَرْضِ الْبَاخِرَةِ . وَهٰذَا الْمَضِيقُ مَحْصُورٌ مِنَ الْجَانِبَيْنِ بِصُخُورٍ عَالِيَةٍ جِدّاً ، قَدِ انْصَلَتْ مِنْ أَعْلَى بِجِسْرٍ صَغِيرٍ وَقَفَ عَلَيْهِ بَعْضُ الْأَهَالِي يُلَوِّحُونَ لَنَا بِأَيْدِيهِمْ وَمَنَادِيلِهِمْ . وَقَدْ يَحْصُلُ أَحْيَاناً أَنْ تَرْتَطِمَ الْبَاخِرَةُ بِجَوَانِبِ الْمَضِيقِ فَيُصِيبُهَا بِسَبَبِ ذَلِكَ بَعْضُ الْعَطَبِ وَلٰكِنَّنَا وَلِلّٰهِ الْحَمْدُ اجْتَزْنَاهُ سَالِمِينَ .

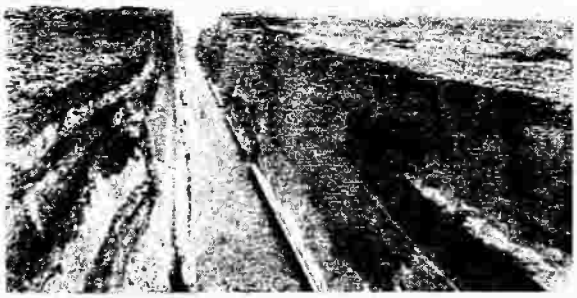

مضيق كورنث

وَوَصَلْنَا إِلَى اسْتَامْبُولَ بَعْدَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً تَمَاماً وَبَعْدَ أَنِ انْتَهَيْنَا مِنْ مَرَاسِيمِ « الْجُمْرُكِ » الْمُعْتَادَةِ رَكِبْنَا سَيَّارَةً إِلَى الْفُنْدُقِ ، وَقَدْ أَدْهَشَنِي كَثِيراً أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ نَظَرِي عَلَى طُولِ الطَّرِيقِ عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ يُشْعِرُنِي بِأَنَّنِي فِي تُرْكِيَا — كَانَ كُلُّ شَيْءٍ أُورُوبِّيّاً غَرْبِيّاً بِكُلِّ مَعَانِيهِ ، فَالنِّسَاءُ سَافِرَاتٌ جَمِيعاً وَالرِّجَالُ يَلْبَسُونَ الْقُبَّعَاتِ ، وَالْمَتَاجِرُ وَالْمَطَاعِمُ كُلُّهَا عَلَى نَمَطٍ غَرْبِيٍّ حَدِيثٍ ، وَأَسْمَاؤُهَا مَكْتُوبَةٌ عَلَى وَجَهَاتِهَا بِحُرُوفٍ لَاتِينِيَّةٍ . وَسَأَلْتُ وَالِدِي فِي ذَلِكَ فَأَجَابَنِي بِأَنَّ اسْتَامْبُولَ قِسْمَانِ كَبِيرَانِ يَفْصِلُهُمَا الْبُوسْفُورُ ، وَيَصِلُ بَيْنَهُمَا جِسْرٌ كَبِيرٌ يُدْعَى جِسْرُ « جَالَاطَة » .

أَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ وَهُوَ الَّذِي كُنَّا فِيهِ فَحَدِيثٌ

وَعَلَى طِرَازٍ غَرْبِيٍّ ، كَمَا قَدَّمْتُ لَكَ وَيُدْعَى بِيرَا ، وَيَكَادُ يَكُونُ وَحْدَهُ بَلَدًا قَائِمًا بِذَاتِهِ . وَأَمَّا

جسر جلاطه يصل بين بيرا واستامبول

الثَّانِي فَعَلَى طِرَازٍ تُرْكِيٍّ صَمِيمٍ يَخْتَلِفُ عَنِ الأَوَّلِ كُلَّ الاِخْتِلَافِ وَيُذَكِّرُكَ فِي مَجْمُوعِهِ بِحَيِّ سَيِّدِنَا الْحُسَيْنِ بِالْقَاهِرَةِ . وَلَيْسَ فِي « بِيرَا » شَيْءٌ مِنْ تُرَاثِ التَّارِيخِ الْقَدِيمِ ، فَالْمَسَاجِدُ وَالْمَتَاحِفُ وَدُورُ الآثَارِ كُلُّهَا فِي اسْتَامْبُولَ . أَمَّا الْمَسَارِحُ وَدُورُ الْخَيَالَةِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ وَسَائِلِ اللَّهْوِ وَالتَّسْلِيَةِ فَأَغْلَبُهَا فِي « بِيرَا »

وَوَضَعَ وَالِدِي بَرْنَامَجَ الزِّيَارَةِ ، وَلَمْ يَنْسَ أَنْ يُضَمِّنَهُ زِيَارَةَ أَحَدِ الْحَمَّامَاتِ التُّرْكِيَّةِ الشَّهِيرَةِ .

وَسَأَبْدَأُ بِقِصَّةِ الْحَمَّامِ : ذَهَبْنَا إِلَيْهِ فِي صُحْبَةِ رَجُلٍ تُرْكِيٍّ تَعَرَّفَ بِهِ وَالِدِي مُصَادَفَةً وَمَا أَنْ دَخَلْنَا ، وَأَشَارَ الرَّجُلُ التُّرْكِيُّ إِلَى مُدِيرِ الْحَمَّامِ بِبَضْعِ كَلِمَاتٍ ، حَتَّى نَادَى خَدَمًا كَثِيرِينَ فَأَقْبَلُوا عَلَيْنَا مُرَحِّبِينَ ، وَكَانُوا يَنْحَنُونَ كُلَّمَا مَرَرْتُ بِهِمْ حَتَّى لَتَكَادُ جِبَاهُهُمْ تَلْمِسُ الأَرْضَ . قَادَنَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ إِلَى الطَّبَقَةِ الْعُلْيَا فَإِذَا بِهَا صَفٌّ مِنَ الْحُجُرَاتِ الصَّغِيرَةِ فِي كُلِّ حُجْرَةٍ مِنْهَا سَرِيرٌ وَمِنْضَدَةٌ عَلَيْهَا مِرْآةٌ وَبَعْضُ أَدَوَاتِ الزِّينَةِ . شَغَلْنَا ثَلَاثَ حُجُرَاتٍ مُتَجَاوِرَةٍ ، ثُمَّ خَلَعْنَا مَلَابِسَنَا وَتَدَثَّرْنَا فِي « الْبَشَاكِيرِ » وَلَبِسْنَا فِي أَقْدَامِنَا نِعَالاً (شباشب) ، ثُمَّ هَبَطْنَا السُّلَّمَ فَاسْتَقْبَلَنَا فِي أَسْفَلِهِ خَادِمٌ يَحْمِلُ

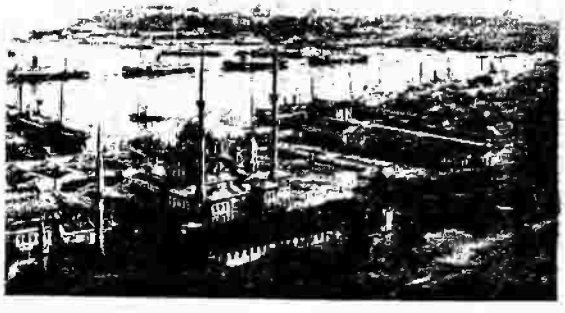

استامبول — الجزء القديم

نَوْعًا مُزَرْكَشًا مِنَ الْقَبَاقِيبِ ، فَخَلَعْنَا نِعَالَنَا وَلَبِسْنَا تِلْكَ الْقَبَاقِيبَ الْجَمِيلَةَ الْمُزَرْكَشَةَ ، ثُمَّ فُتِحَ أَمَامَنَا بَابٌ ، فَإِذَا بِنَا فِي رَدْهَةٍ دَفِيئَةٍ لَا أَثَرَ لِلْمَاءِ فِيهَا ، وَهُنَا خَلَعْنَا تِلْكَ الْقَبَاقِيبَ الْمُزَرْكَشَةَ وَلَبِسْنَا

(القَبَاقِيب) المُعْتَادَة ، ثمّ دَخَلْنَا قَاعَة وَاسِعَة كَانَتْ كَأَنَّمَا سُلِّطَ عَلَيْهَا لَهَبٌ مِنَ الجَحِيمِ . وَهَمَمْتُ بِأَنْ أَعُودَ أُدْرَاجِي وَأُولِّيَ الأَدْبَارَ ، وَلَكِنَّ الخَادِمَ أَمْسَكَ بِي ، وَتَمْتَمَ بِبَعْضِ كَلِمَاتٍ لَمْ أَفْهَمْهَا وَأَشَارَ إِلَيَّ بِمَا يُفِيدُ : تَقَدَّمْ وَلاَ تَخَفْ . وَنَظَرْتُ حَوْلِي فَإِذَا بِهَذِهِ القَاعَةِ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الحُجُرَاتِ الصَّغِيرَةِ ، كُلٌّ مِنْهَا حَمَّامٌ مُسْتَقِلٌّ بِذَاتِهِ يَحْتَوِي عَلَى حَوْضٍ صَغِيرٍ مِنَ الرُّخَامِ يَعْلُوهُ صُنْبُورَانِ أَحَدُهُمَا لِلْمَاءِ البَارِدِ وَالآخَرُ لِلْمَاءِ السَّاخِنِ الذِي يَكَادُ يَصِلُ إِلَى حَدِّ الغَلَيَانِ . وَعَرَضَ أَحَدُ الخَدَمِ عَلَى وَالِدِي أَنْ يُدَلِّكَ جِسْمَهُ تَدْلِيكاً طِبِّيًّا ، زَعَمَ أَنَّ لَهُ فَائِدَةً عَظِيمَةً فِي تَنْشِيطِ الجِسْمِ . فَتَرَدَّدَ وَالِدِي أَوَّلَ الأَمْرِ ، وَلَكِنَّهُ قَبِلَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى مَضَضٍ فَفُرِشَتْ أَرْضُ القَاعَةِ بِمُلاَءَةٍ كَبِيرَةٍ ، وَطَلَبَ الرَّجُلُ إِلَى وَالِدِي أَنْ يَسْتَلْقِيَ عَلَيْهَا ، ثمّ أَخَذَ يُدَلِّكُ جِسْمَهُ فِي قَسْوَةٍ شَدِيدَةٍ كَانَ وَالِدِي يَئِنُّ بِسَبَبِهَا أَنِينًا شَدِيداً ، وَيَتَوَسَّلُ إِلَى الرَّجُلِ أَنْ يَرْحَمَهُ مِنْهَا وَلَكِنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَكُنْ يَفْهَمُ شَيْئًا بِطَبِيعَةِ الحَالِ ، بَلْ كَانَ يَضْحَكُ وَيَسْتَمِرُّ فِي التَّدْلِيكِ . وَلاَ رَيْبَ أَنَّ مَنْظَرَ وَالِدِي كَانَ يَدْعُو إِلَى الضَّحِكِ وَهُوَ يَتَلَوَّى تَحْتَ ضَغْطِ هَذَا التُّرْكِيِّ الغَلِيظِ .

بيره . الجزء الحديث من استامبول

وَكَانَ هَذَا دَرْساً لِي ، فَرَفَضْتُ رَفْضاً قَاطِعاً أَنْ أُعَامَلَ بِمِثْلِ مَا عُومِلَ بِهِ أَبِي ، وَاكْتَفَيْتُ بِالحَمَّامِ مِنْ دُونِ التَّدْلِيكِ .

وَعُدْنَا كَمَا بَدَأْنَا خَطْوَةً خَطْوَةً ، فَلَبِسْنَا (القَبَاقِيب) العَادِيَّةَ إِلَى القَاعَةِ الخَارِجِيَّةِ ثُمَّ أَبْدَلْنَا بِالمُزَرْكَشَةِ إِلَى أَسْفَلِ السُّلَّمِ ثُمَّ لَبِسْنَا النِّعَالَ إِلَى الحُجُرَاتِ ، فَاسْتَلْقَيْنَا عَلَى الأَسِرَّةِ . وَاسْتَرَحْنَا سَاعَةً تَقْرِيباً ، ثُمَّ أُتِينَا لَنَا بِالشَّايِ المُمْطِرِ ، فَشَرِبْنَاهُ وَشَعَرْنَا بَعْدَهُ بِانْتِعَاشٍ جَمِيلٍ ، وَجَاءَ وَقْتُ الحِسَابِ وَسَمِعْتُ الرَّجُلَ يَقُولُ لِوَالِدِي « سِتُّ لِيرَاتٍ » (عَنَّا نَحْنُ الثَّلاَثَةَ) أَيْ سِتَّةَ جُنَيْهَاتٍ

تَرْكِيَّةٍ ، فَكِدْتُ أُصْرَخُ مِنْ هَوْلِ الرَّقْمِ . وَلَكِنَّ نَحْوَ الثَّمَانِينَ قِرْشاً ، فَحَمِدْتُ اللهَ عَلَى ذَلِكَ .
وَالَّذِي أَفْهَمَنِي أَنَّ هٰذَا يُعَادِلُ مِنْ نُقُودِنَا الْمِصْرِيَّةِ

أخـــوك

سمير

إلى قراء سمير التلميذ وأصدقائه

إِذَا كُنْتَ تُحِبُّ هٰذِهِ الْمَجَلَّةَ وَتَعْتَقِدُ فِي فَائِدَتِهَا فَلِمَاذَا لَا تَنْصَحُ إِخْوَانَكَ قِرَاءَتَهَا لِيَسْتَفِيدُوا مِنْهَا كَمَا تَسْتَفِيدُ أَنْتَ . إِنَّكَ بِذٰلِكَ تُقَدِّمُ لِإِخْوَانِكَ خِدْمَةً هُمْ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهَا .

احْتَفِظْ بِالْأَعْدَادِ الْقَدِيمَةِ وَلَا تُضَيِّعْهَا ، فَإِنَّكَ سَوْفَ تَحْتَاجُ إِلَيْهَا لِلتَّسْلِيَةِ فِي أَوْقَاتِ فَرَاغِكَ ، وَتَكُونُ نَوَاةً لِمَكْتَبَتِكَ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ ، فَكُلُّ تِلْمِيذٍ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَكْتَبَةٌ تَكْبَرُ مَعَهُ وَيَفْخَرُ بِهَا فِي مُسْتَقْبَلِهِ . وَإِذَا كُنْتَ تُرِيدُ بَعْضًا مِنْ أَعْدَادِ ثَلَاثِ السَّنَوَاتِ الْمَاضِيَةِ لِتَكْمِلَةِ مَجْمُوعَتِكَ ، فَلَدَيْنَا بَعْضُ الْأَعْدَادِ نُرْسِلُهَا إِلَيْكَ . وَثَمَنُ النُّسْخَةِ عَشَرَةُ مِلِّيمَاتٍ خَالِصَةً أُجْرَ الْبَرِيدِ . وَإِذَا أَرَدْتَ مَجْمُوعَةً كَامِلَةً مِنْ أَيَّةِ سَنَةٍ مِنَ السَّنَوَاتِ الثَّلَاثِ الْمَاضِيَةِ فَثَمَنُهَا ثَمَانِيَةُ قُرُوشٍ خَالِصَةً أُجْرَ الْبَرِيدِ أَوْ ١٦ قِرْشاً مُجَلَّدَةً تَجْلِيداً جَمِيلاً — أَرْسِلْ عُنْوَانَكَ مَعَ بَيَانِ الْأَعْدَادِ الَّتِي تَطْلُبُهَا وَطَوَابِعَ بَرِيدٍ بِقَدْرِ ثَمَنِ هٰذِهِ الْأَعْدَادِ .

مدير مجلة سمير التلميذ

بمعهد التربية بالجيزة